الحلقة (١٠)

نستكمل موضوع المهارات، فامتلاك المهارة المراد بها المهارات المتنوعة، منها مهارات عملية ومنها مهارات ذهنية، من المهارات الذهنية القدرة على التحليل، والقدرة على الوصف، والقدرة على المقارنة، القدرة على النقد والقدرة على الاستنباط، هذه قدرات مهمة، فلابد أن يكون الباحث لديه تمرس بها، فالإنسان موهوب على الوعي بالتحليل والوعي بالتركيب، وكذلك مسألة الاستنباط والمقارنة، هذه أشياء في أصولها فطرية، ويعني ما منا إلا ومن يقارن، وليست في حد ذاتها صعبة لكن الدقة في المقارنة وسلوك الأصول الصحيحة العلمية في المقارنة، كذلك التحليل في أصله كل إنسان يستطيع التحليل، ولكن أيضاً تبقى القضية **ما مدى دقة التحليل؟ وما مدى سيره وفق القواعد العلمية؟**

كذلك الوصف والاستنباط ونحوها، كلها قواعد عقلية فطرية أساسية عند الناس لكنهم:

أولاً: يتفاوتون فيها فطرةً من حيث القوة والضعف في ملاحظة هذه الأمور وفي استخدامها.

ثانيا: أنها تنمو بالتدريب والعمل والممارسة وتكون أكثر دقة.

ثالثاً: أن الإنسان لابد أن يسلك في هذه العمليات العقلية المسلك العلمي الصحيح، فيعرف **كيف يحلل الموضوع؟ أو كيف يرده إلى عناصره الأساسية وجزئياته، متدرجاً من العناصر الكبرى إلى العناصر الأصغر إلى العناصر الأدق، حتى يصل إلى أدقها، ثم يعود بالتركيب دون أن يهمل أي عنصر من هذه العناصر، فيكون تركيبه صحيحاً بحيث يكتشف القانون هذا التركيب**، كذلك في العمليات الأخرى كالاستقراء من استقراء تام ومن استقراء ناقص، لكن حتى الاستقراء الناقص لا الاستقراء الذي يمكن أن يحقق ثقة نطمئن إليها أو نستند إليها، وما الاستقراء الناقص ولكنه لا يعتبر استقراءاً حقيقيا أو حاكما، بمعنى لو عندنا أفراد موضوع تصل ألف، لو قام باستقراء مثلاً سبعمائة إلى ثمانمائة منها ثم وجدها أن نتائجها متطابقة، فخرج بقانون أن الأشياء إذا تجمعت بهذا الشكل خرجت النتيجة كذا، فهنا استقراء ناقص لكنه استقراء الأعم الأغلب، في حين واحد نظر إلى فرد أو فردين من أفراد هذا الشيء وأعطى قانونا لها، هذا الاستقراء غير صحيح وغير علمي.

كذلك المقارنة، لما يقارن الإنسان من وجه واحد ويغفل بقية الأوجه، هنا ليست مقارنة علمية صحيحة، لأنها نظرت من وجه واحد فقط، والموضوع له أوجه متعددة ولكي تقارن بينهم مقارنة صحيحة لابد أن تستغرق هذه الأوجه، فهنا هذه مهارة أخرى وكيف تفعل المهارات الفطرية الجبلية عند الناس؟ وكيف تطور وفق القواعد العلمية؟ فمن يمتلك المهارة بمعنى لديه التدريب على هذه العمليات العقلية يستطيع أن يستعملها في البحث بمهارة؛ وبالتالي ستنعكس على بحثه بقوة ومستوى علمي عالي.

كذلك المهارات الأخرى التي تتصل بالجانب العملي كالمعرفة بقواعد كتابة البحث سواء قواعد العرض والأسلوب أو قواعد الشكل والنواحي الفنية، فإذا كان لديه المهارة بهذا الشكل خرج بحثه مكتملا فنيا وأسلوبيا ومنهجيا ومعرفيا، وإذا كان لديه مهارة التعامل مع مصادر، كيف يتعامل مع المصادر؟ كيف يقرأ كتب التراث؟ لأن كتب التراث تحتاج إلى تعرف إلى أساليبها ومصطلحاتها ومناهجها حتى يستطيع الإنسان الوصول إلى مقاصدها بطريقة علمية صحيحة.

الكل يقرأ لكن من الذي يستطيع الاستيعاب أو الوعي بالمعاني واستخلاصها واستثمارها، الكل يقرأ كتاب، لكن لو يقرأ الكتاب إنسان غير متخصص لن يكون كقراءة الإنسان المتخصص العارف بقواعد العلم وبمصطلحاته وبمصطلحات أهله، فهذا القارئ يختلف عن ذاك القارئ، فلابد أن يكون لدى الإنسان المهارات العلمية، فهناك مهارات كما قلت ذهنية، وهناك مهارات منهجية، وهناك مهارات عملية، وهناك مهارات علمية، فالمهارات متعددة ومتنوعة لا نستطيع حصرها هنا، لكن حسبي أن أشير إلى بعض منها، وهي ما ذكرته من أمثلة على هذه المهارات، كأمثلة على الذهنية: النقد والتحليل والاستقراء والاستنباط والمقارنة والوصف ونحو ذلك، المهارة فيما يتعلق بجمع المادة العلمية، مهارة التعامل مع المصادر والتعرف على تقنيات البحث، مهارة القدرة على قراءة كتب التراث والتعامل معها، مهارة تصميم الاستبيان والتحليل الإحصائي، ونحو ذلك، فهناك إذاً مهارات متنوعة ويُحتاج إليها بحسب اختلاف البحوث، هذه بشكل عام صفات الباحث العلمي.

وينبغي أن لا يقول هذه صفات تحتاج إلى وقت لكي تتوفر في الشخصية، فنقول: لا، حينما يكون الإنسان عازما وجاداً ومريداً بجزم على نفسه ممارسة هذه الأشياء ويتدرب عليها فإنه يصل بإذن الله إلى إحكامها.

المهم توفر الشرطان معاً **الإرادة والصبر والممارسة**، الممارسة مع الصبر، والإرادة، فكلما كان الإنسان صاحب إرادة قوية وعزم وتصميم، وكلما كان جاداً في ممارسة ما يريد تعلمه، والصبر على هذا التعلم، واستمرار التطبيق لما يتعلمه حتى يصبح مثل العوائد عنده، بهذا الشكل يكتسب هذه المهارات وتترسخ فيه هذه الصفات ويغدوا باحثا من الباحثين في عداد الباحثين، وقد يشار إليه في مجال البحث بالبنان، هنا ننتقل إلى الموضوع، نحن قلنا عندنا بحث وباحث ومادة ومنهج وهدف.

ننتقل إلى البحث الموضوع الذي سيختاره الباحث، كنا عرفنا البحث، والآن نريد أن ندخل إلى الجانب العملي في مسألة البحث، وهو كيف نختار البحث؟ الآن باحث معين طلب منه أن يعد رسالة ماجستير في فن من الفنون، أو طلب الأستاذ في المستوى الجامعي من طلابه أن يعدوا بحثا، وقال اقترحوا علينا موضوعات (لم يقترح هو الموضوعات وإنما وكل إليهم الأمر وقال ابحثوا وكل منكم يقترح موضوع معين حتى نكلفه بأن يكتب البحث فيه، وقال الأستاذ نحن لا نريد أن نجبركم على بحث موضوعات لا ترغبونها، فمن أصول البحث أن يكون مرغوبا ومحبوبا، ومن أجل ذلك قال

الأستاذ لطلابه اذهبوا بأنفسكم وليختر كل واحد منكم موضوعه ثم ليأتي به، فهنا الطلاب يحتاجون إلى موجِّهات حتى يعرفوا كيف يختارون، **فما هي الأمور التي لابد أن يستحضرها الباحث عند اختيار الموضوع؟**

أولاً: لابد أن البحث في التخصص العلمي للباحث هذا الشرط الأول، إنسان مثلاً متخصص في الفقه لا يذهب ويبحث في العقيدة، إنسان متخصص في العقيدة لا يبحث في أصول الفقه، وهكذا، فالأصل أن موضوع البحث يكون في مجال تخصص الباحث حتى يمهر فيه ويبدع فيه.

الثاني: - وله صلة بالباحث- أن يكون قادراً على بحث الموضوع لكن قبل أن نقول هذا نأتي للموضوع نفسه فنقول: أن يكون الموضوع مهماً وجديراً بالبحث، فالموضوعات كثيرة، لكن من الموضوعات ما يمس حياة الناس ويستفيدون منه فائدة عظيمة، فلذلك كلما كان الموضوع مهما كان جديراً بالبحث، فلذا من أساسيات الاختيار أهمية الموضوع، ولذا ينص عليه في المشروع، لما يتقدم الإنسان بمشروع بحثه الذي يطلب تسجيله يُطلب منه أن يبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الباحث، لماذا اخترت هذا الموضوع؟ هل هو مهم؟ نعم قال مهم، نقول إذن ائتنا بما يبرر كلامك، ائتنا ببيان أهمية هذا البحث، والأسباب التي تدعو إلى بحثه، وأهدافك من بحثك، فهنا أهمية الموضوع شرط من شروط الاختيار لابد أن يستحضرها الباحث الذي يريد أن يبحث عن موضوع.

أيضاً: جدة الموضوع، فالموضوع المكرر والموضوع المستهلك بالبحث لا قيمة له، لأنه أعاد ما كان موجوداً فقط دون أدنى تغيير، أو بتغيير طفيف، فهذا لا فائدة من عمله ترجى، وفيه إهدار للوقت وإهدار للجهد، فأولى بالإنسان ألا يبحث إلا بشيء فيه فائدة، ولذا يشترط جدة الموضوع ولا سيما في الرسائل المتقدمة.

المسألة الأخرى: قابلية الموضوع للبحث وبعضهم يسميها وفرة المصادر، لكن وفرة المصادر يرد عليها إشكال، لأن المطلوب أن تكون مصادر البحث في حدود المعقول، فإن كانت كثيرة جدًا أضرّت بالموضوع، لأن الباحث لن يستطيع ملاحقة هذا الكم الهائل، وبالتالي يعتري بحثه من النقص بقدر عجزه عن متابعة هذه المصادر، وإن كانت المصادر شحيحة فتضر بالبحث، ليس لدى الباحث المادة الكافية لبحثه، ولذلك الاعتدال في توفر المصادر يعني أن تكون مصادره متوفرة بحدود معقولة بدرجة متوسطة.

المسألة الثانية: قابلية الموضوع للبحث، هذه غير وفرة المصادر، يعني أن يكون الموضوع البحث فيه ممكنا، وقد يكون صعبا ليس في طوق الباحث، وبالتالي سيعجز عنه ويتركه، وقد يكون سهلا جدا بحيث يتطرق الباحث إلى الاستخفاف به ومعاملة بمنطق السهولة، وأفضل البحوث الذي يكون التحدي فيه دافعا للاستجابة المناسبة التي تخرج عملاً علميا جيدا، فهذا من الأمور المطلوبة.

أيضاً من الأمور: أحيانا يتعرض الإنسان لبحث لا يستطيع إنجازه، إما لظروف اجتماعية أو لظروف أخرى، أو لعدم توفر المصادر، فهنا أن يكون الموضوع مما يستطاع بحثه لعلل، إما أن يكون لصعوبة الموضوع، وإما أن يكون من عدم وفرته، ... فلابد أن يراعي الباحث هذه الأمور.

أيضاً من الأمور المهمة: أن يكون لديه رغبة وحب للموضوع، وهذه كما قلنا من صفات الباحث، وكذلك هي صفة مشتركة، لأن لدينا هنا محب ومحبوب، فالمحبوب هو البحث، والمحب هو الباحث، وكما أنها اشترطت الرغبة كصفة في الباحث، هناك الرغبة في البحث وليس في بحث معين، والصفة هناك الرغبة في عملية البحث أن يكون محبا لمسألة البحوث والبحث والقراءة والاطلاع، هنا صفة عامة، أما هاهنا في الموضوع نريد صفة خاصة بمعنى محبة ورغبة هذا الموضوع المعين، فهذا من الأمور المهمة.

فهذه مجموعة من الأمور المهمة لابد أن يستحضرها عند اختيار الموضوع، بعد أن ينتهي من هذه الخطوة ويرى توفر هذه الأمور كلها، ثم تأتي عملية الاختيار كيف تتم عملية الاختيار إذا كانت متوفرة هذه الصفات في الموضوع المبحوث عنه؟ لابد أن يكون هناك محاولة فقد يكون طرأ عليه موضوع معين، فابتدأً هذا الموضوع توفرت فيه في ظاهر الأمر هذه الأشياء، فيحتاج التأكد منها ومن بعضها، يعني مثلاً يعرف الباحث من الوهلة الأولى أن هذا الأمر في تخصصه أو لا، كذلك أهمية الموضوع قد يعرفها من حاجة المجتمع وغيره، وميل الباحث ورغبته من حيث إقباله على هذا الموضوع المطروح، هناك بعض الأمور لابد من استكشافها مثل وفرة المصادر، مثل القدرة على بحث الموضوع، مثل جدة الموضوع، هذه يحتاج الباحث أن يعمل على الحفر عنها وعلى اكتشافها هل هي بالفعل متوفرة؟ فيقبل على الاختيار أو غير متوفرة فينصرف عن الاختيار.

فلا يكفي توفر بعض الصفات الأولية أو بعض صفات شروط الاختيار، لابد وأن تكون متوفرة، وتوفرها جميعها يحتاج من الباحث إلى أن يرجع لبعض الأمور أو أن يمارس بعض الأمور، وهي في نفس الوقت قد تكشف للباحث عن موضوعات أخرى، <u>(القراءات الأولية المعينة على اختيار الموضوع) منها:</u>

١. **الإطلاع على فهارس الكتب والمكتبات** وهي تفيده من ناحيتين من ناحية اكتشاف موضوع جديد للاختيار، ومن ناحية معرفة إن كان الموضوع جديداً أو غير جديد، مكرراً كثيرا أو غير مكرر فهذه من الأمور المهمة.

٢- **المجلات العلمية التي تنشر بحوث علمية مُحَكّمة** مثلاً من المجلات ذات البعد الشرعي مجلة الدراسات الفقهية المعاصرة، مجلة جامعة الإمام، مجلة جامعة أم القرى، مجلة العدل، مجلة البحوث العلمية والإفتاء، مجلات كثيرة، ولو استقصى الإنسان لوجد مجلات كثيرة تختص بالبحوث العلمية الشرعية، هذه المجالات العلمية من فوائدها أنها تفتح أمام الباحثين فرص لاختيار موضوعات

لبحوثهم، فقد يكون باحثاً قد كتب عن موضوع بحث محكما عشرين أو ثلاثين أو خمسين صفحة تقل أو تكثر، لكن هذه الكتابة لم تستوفِ جوانب الموضوع، وإنما أعطت إلماحةً عنه أو إلماماً عنه، فيكون أمام الباحث فرصة لكي يستفيد من هذا الموضوع أو يطوره بصفته بحثا متكاملا.

٣- كذلك من الأمور المعينة التي ينبغي على الباحثين: **الاطلاع على الرسائل العلمية التي تناولت هذا الموضوع** فمثلاً يريد الإنسان أن يسجل في بحث، من المستحسن أن يذهب إلى مراكز البحوث أو إلى مواقع هذه المراكز ويُدخل استمارة فيها اسم البحث الذي يرغب، إذا كان هناك رسائل علمية باسم البحث أو قريبة منه اتضحت له فيطلع عليها، فإن كانت كافية فينصرف إلى غيره من الموضوعات حتى يوفر جهده؛ وإن كانت غير كافية وفيها خلل كبير يمكنه أن يطرح آن ذاك رأيه، أو أن يقدم الموضوع ويعلل سبب التكرار وسبب إعادة البحث بجوانب النص الواضحة في البحث السابق.

٤- **مما يفيد الاطلاع على قوائم دور النشر والاستفادة من مراكز الأبحاث** ففي هذا العصر هناك مراكز متخصصة للأبحاث العلمية أو للدراسات، ولاسيما الدراسات الإسلامية، مثلاً من أكبر المراكز في المملكة العربية السعودية "مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية" هذا المركز يوفر للباحثين خدمات كبيرة جدا في مجال البحوث واستثمارها، يمكن للباحث أن يزور المركز ويطلب استمارة البحث ويسجل بحثه، ثم يطلب من أصحاب المركز من الموظفين يبحثوا له ويعطونه النتائج المتكاملة مطبوعة، وقد يستطيع الإنسان مراسلة المركز إليكترونيا وطلب ما يريده من المركز، فيجيبونه بهذا الشيء عن طريق الاستمارة الإلكترونية، كذلك "مكتبة الملك فهد الوطنية" تؤدي الغرض نفسه، وكذلك "مكتبة الملك عبدالعزيز" أيضا تؤدي نفس القضية، فالمكتبات ولله الحمد متوفرة، والمكتبات في الجامعات مثل جامعة الإمام والملك سعود ونحوها فكلها لديها مكتبات كبرى وخدمات للباحثين على مختلف الأوعية المعرفية، كما قلت كتب أبحاث ومؤتمرات مجلات وصحف ورسائل علمية إلى آخره مما هو موجود في هذه المكتبات من الأوعية العلمية التي يمكن أن تعين الباحثين.

٥- **أيضا سؤال أهل الخبرة واستشارتهم** فمن الأمور التي ينبغي للباحثين أن يعنوا بها أن يستفيدوا ممن سبقهم في هذا المجال ولاسيما في المتخصصين الراسخة أقدامهم في الفن، فهؤلاء في الغالب يكون لديهم موضوعات يودون لو تبحث، ولا يكون لديهم الوقت لبحثها، فلذلك حينما يأتونهم الطلبة يوجهونهم لمثل هذه الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث بحسب خبرات أولئك الأساتذة الكبار، فيستفيد الإنسان حينما يعود إلى المتخصصين ويسألهم عن الفن.

٦- العنصر الذي يمكن من خلاله أيضا الاستفادة؛ **الاستفادة من الحاسب الآلي** سواء عن طريق الشبكات الشبكة العنكبوتية الإنترنت باستخدام محركات البحث والبحث فيها عن الموضوع، أو عن طريق الأقراص المدمجة التي تحوي الكثير من المعارف والعلوم والكتب، هذه الأوعية الإلكترونية مفيدة جدا في التعرف على الموضوعات وفي الاستقصاء حولها، فعن طريق محرك البحث يدخل

الإنسان ويضع المعلومة التي يريدها ثم يبحث عنها، فيظهر أمامه أماكن توفرها، ولاسيما في المواقع المتخصصة لذلك، قد لا يحتاج إلى محرك البحث ابتداء، وإنما قد يكون عرف مواقع معينة، مثلاً المختص بالحديث مواقع الحديث، والمختص بالتفسير مواقع التفسير، والفقه كذلك، والأصول كذلك، وأيضا بحكم التكاملية بين العلوم الإسلامية يمكن أن يستفيد صاحب فن واحد من كل الفنون صاحب الفقه يستفيد من الحديث ومن التفسير واللغة ومن الأصول وهكذا، وأيضا الذي في التخصصات الأخرى، لأن العلوم الإسلامية تكاملية يكمل بعضها بعضا، وبينها جانب اتصال وبينها جانب انفصال، فانفصالها للتشخص والتخصص بموضوع معين، واتصالها لما بين موضوعاتها من الاتصال، لأنها متعلقة بالإنسان هذا الكائن المركب الذي وجدت هذه العلوم لتوجيهه لكل جوانب حياته، فكان فيها اتصال وانفصال بحسب الموضوع الموجه، هذا والله أعلم.